فيض رب الأرض والسماء

في بيان معنى نفي المدينة النبوية للخبثاء

الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن سمير بن أحمد الصباغ

الألوكة
alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيض رب الأرض والسماء

في بيان معنى

نفي المدينة النبوية للخبثاء

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فغيرُ ممكنٍ أن يكونَ في كتابِ الله أو في السُّنةِ الصحيحةِ أدنى تعارُضٍ، وإن كان هناك تعارضٌ في الظاهرِ فإنما

هو بسببِ جهلِنا، وقلةِ علمِنا، وليس في الوحيِ المعصومِ، قال اللهُ تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩} [الحجر:٩]، وقال أيضًا: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢} [النساء:٨٢]، والقرآنُ والسُّنةُ وحيٌ من عندِ الله، فيستحيلُ أن يكونَ بينهما تناقضٌ أو اختلافٌ.

وقولُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا**»: استَشْكَلَه بعضُ الناس؛ إذ كيفَ تنفي الخَبَثَ منها، وكان فيها المنافقون، وفيها بعضُ الروافض؟!

وهذا ما نُجيبُ عليه في الأسطرِ الآتيةِ بمشيئةِ اللهِ تعالى:

سأل سائل: هل هناك تعارضٌ بين نفيِ المدينةِ للخبثاء الذين يريدون سُكْناها، وبين وجودِ المنافقين، وبعضِ الروافضِ فيها من الزائرينَ أو السَّاكنين؟

والجواب: حتى يرتفعَ هذا الإشكالُ لا بدَّ أولًا من فهمِ معنى الحديث، ثم بيانِ فهمِ العلماءِ للزَّمان الذي تنفي فيه المدينةُ هذا الخَبَثَ، هل هو مُقيَّدٌ بزمَنٍ مُعيَّنٍ أم أنه عامٌّ في كلِّ الأزمان؟

أولًا: نص الحديث

عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَأَصَابَهُ وَعْكٌ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، فَخَرَجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَدِينَةُ كَالكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا**»[1].

وفي لفظٍ لمُسلمٍ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[2].

---

[1] أخرجه البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (١٣٨٣)، ومالك في الموطأ (٤).

[2] أخرجه مسلم (١٣٨١).

ثانيًا: معنى ألفاظ الحديث

«**تَنْفِي خَبَثَهَا**»؛ أي: أنَّها تنفي شِرارَ الناس، فيخرجون منها، ويفارقونها.

فتنفي حُثالةَ الناس، ولا يَبقى فيها إلا الطيِّبُ الذي اختاره اللهُ لسُكْناها ولصُحبةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

«**وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا**»؛ أي: يبقى الطيِّب، ويثبُتُ، ويظهَرُ، والناصِع: هو السالِمُ الخالِصُ من الشوائبِ.

ثالثًا: الزمنُ الذي يقعُ فيه هذا النفيُ

اختلفَ العلماءُ في الزمنِ الذي يقعُ فيه هذا النفيُ:

١- فمِنهم مَن قال: هذا في زمنِ النُّبوَّة ممَّن يأتي مهاجرًا إليها، وإلى هذا الرأيِ ذهب ابنُ عبد البرِّ[١]، وتَبِعَه ابنُ العربيِّ[٢]، والقاضي عِياض[٣].

---

[١] انظر: التمهيد (٨/ ٧١).

[٢] انظر: المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ١٧٧).

[٣] انظر: إكمال المعلم شرح مسلم (٤/ ٥٠٠).

ويدلُّ عليه سببُ ورودِ الحديث: جاء أعرابيٌّ إلي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعَه على الإسلامِ، فجاء من الغدِ محمومًا فقال: أَقِلْنِي. فأبى، ثلاثَ مرَّاتٍ، وحينئذٍ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... الحديثَ.

٢- وذهب فريقٌ منهم إلى أنَّ هذا يكونُ وقتَ الدَّجَّالِ في آخرِ الزَّمان؛ لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تنفِيَ المدينةُ شِرَارَها كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**»، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديثِ: أن الدَّجَّالَ يقصِد المدينةَ فترجُفُ ثلاثَ رَجْفَاتٍ يُخرِجُ اللهُ بِهَا مِنْهَا كُلَّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ وَفَاسِقٍ وَفَاسِقَةٍ[١]، وهذا ما رجَّحه النوويُّ في شرحِه[٢].

٣- وذهب فريقٌ ثالثٌ إلى أنَّ ذلك يشملُ الزَّمَنَين، وهذا ما رجَّحَه الحافظُ ابنُ حجرٍ[٣].

وبناءً على ما سبق فلا إشكالَ في وجودِ المنافقين الذين هم من أهلِ المدينةِ الأصليين؛ لأن المقصودَ بمَن تنفيه المدينةُ هو

---

[١] أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

[٢] شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٤).

[٣] فتح الباري (٤/ ٨٨).

المهاجرُ إليها وهو خبيثُ النفسِ، أو مَن كان مِن سُكَّانِها في زمنِ الدَّجَّالِ، سواءٌ كان من أهلِها الأصليِّينَ أو الزائرينَ.

ولو حَمَلْنا الحديثَ على العمومِ فيُحمَلُ الحديثُ على الأغلبِ؛ أي: أنَّ أغلَبَ أهلِ الشرِّ لا يَصبِرونَ على الإقامةِ بها؛ بل تَنْفيهم، وهذا لا يتنافى مع وجودِ بعضِ أهلِ الشرِّ والفسادِ بها، كالمنافقين وغيرِهم، حتى إذا جاء آخرُ الزمان نَفَتِ المدينةُ كلَّ أهلِ الشرِّ والفسادِ.

فوجودُ الروافضِ في المدينة وغيرِهم من أهل البدعِ والنِّفاقِ لا ينافي ما سبق ذكرُه.

وكذلك يقالُ في حديثِ أن المدينة لا يدخلُها الطاعونُ[1]؛ أي: لا يصيبُها الوباءُ العامُ الذي يتفشَّى في أهلِها، فيكون فيها بعضُ البلاءِ؛ لكن لا يكونُ بلاءٌ عامٌّ يعُمُّ أهلَها.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!

---

[1] أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).